الفصل الخامس

الرحيل

أيامه الأخيرة ووصيته:

روى عبد الله بن المبارك، عن عبد الوهاب بن وَرْد، عن سَلْم بن بَشير بن جَحْل قال: (بكى أبو هريرة في مرضه، فقيل له: ما يُبكيك يا أباهريرة؟ قال: أَمَا إني لا أبكي على دنياكم هذه، ولكني أبكي لبُعْدِ سَفَري وقلَّة زادي، أصبحتُ في صَعُود مُهبِطة على جنَّة ونار، فلا أدري إلى أيِّهما يُسْلَك بي)[1].

وروى سعيد بن أبي سعيد المَقْبُرِيِّ، عن عبد الرحمن بن مِهْران مولى أبي هريرة: (أن أبا هريرة قال حين حَضَره الموتُ: لا تَضْرِبوا عليَّ فُسْطاطاً، ولا تَتْبَعُوني بِمِجْمَر، وأسْرِعوا بي، فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إذا وُضِع الرجلُ الصالح على سَريره قال: قَدِّمُوني قدِّمُوني،

---

(١) طبقات ابن سعد: ٤/ ٣٣٩؛ كتاب المحتضرين لابن أبي الدنيا (١٧٥) و(٢٧٨)؛ الحلية: ١/ ٣٨٣؛ صفة الصفوة: ١/ ٦٩٣ ـ ٦٩٤؛ ابن عساكر: ٦٧/ ٣٨٣ ـ ٣٨٤. الصَّعُود: العَقَبة الشاقَّة، والطريق الصاعد.

وإذا وُضِع الرجلُ السَّوءُ على سَرِيره قال: يا وَيْلَه! أينَ تذهبون بي؟»)[1].

وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: قال أبو هريرة: (إذا مِتُّ فلا تَنُوحوا عليَّ فإن رسول الله ﷺ لم يُنَحْ عليه، ولا تَتْبَعُوني بِمِجْمَرٍ، وإذا وَضَعْتُموني على سريري فأسْرِعوا بي، فإن المؤمن إذا وُضِع على سَريره يقول: أَسْرِعوا بي أَسْرِعوا بي، وإذا وُضع الكافر على سريره يقول: يا ويلتي، أين تذهبون بي؟)[2].

وعن أبي سلمة قال: (دخلتُ على أبي هريرة وهو يموت، فقال لأهله: لا تُعَمِّمُوني ولا تُقَمِّصُوني، كما صُنع برسول الله ﷺ)[3].

وروى مالك بن أنس، عن سعيد المَقْبُرِيِّ قال: (دخل مروان على أبي هريرة في شكواه الذي مات فيه، فقال: شَفَاك الله يا أبا هريرة، فقال أبو هريرة: اللهمَّ إني أُحبُّ لقاءَكَ فأَحِبَّ لقائي. فما بَلَغ مروان أصحابَ القطا، حتى مات أبو هريرة)[4].

وفاته:

كان أبو هريرة يتمنى أن يموت قبل سنة ستين، ويدعو الله أن

---

(١) أخرجه أحمد (٧٩١٤) ـ واللفظ له ـ؛ وابن سعد: ٤/ ٣٣٨؛ والطيالسي (٢٣٣٦)، وغيرهم؛ وذكره الحافظ في الإصابة: ٤/ ٢٠٧ وصحَّحه.

(٢) ابن عساكر: ٦٧/ ٣٨٢ـ ٣٨٣.

(٣) ابن سعد: ٤/ ٣٣٩؛ ابن عساكر: ٦٧/ ٣٨٢.

(٤) ابن سعد: ٤/ ٣٣٩؛ ابن عساكر: ٦٧/ ٣٨٤ـ ٣٨٥.

يَقبضه إليه قبل تلك السنة، لِما سمعه من النبي ﷺ عما سيجري فيها من ولاية الأحداث أمورَ المسلمين، والاقتتال على المُلك، وما يمكن أن يُرْهَق فيها من أرواح، ويتوالى من الفِتن. وكان يَجهر بتلك الأُمنية أمام الناس، فحقَّقَ الله رجاءَه، واستجاب دعاءَه.

أخرج البخاري بإسناده عن أبي هريرة قال: (سمعتُ الصادقَ المصدوقَ يقول: «هَلَكَةُ أمَّتي على يَدَي غِلْمَةٍ من قريش». فقال مروانُ: لعنةُ الله عليهم غِلمةً! فقال أبو هريرة: لو شئتُ أن أقولَ: بني فلان، بني فلان، لَفَعلتُ!)[1].

وذكر الحافظ في شرح هذا الحديث ما رواه ابن أبي شيبة: (أن أبا هريرة كان يمشي في السوق ويقول: اللهمَّ لا تُدْرِكْني سنةُ ستين ولا إمارةُ الصِّبيان)[2].

وقال أبو زُرْعة الدِّمَشقي: أخبرنا أبو مُسْهِر، قال: حدثني صَدقة ابن خالد، عن ابن جابر، عن عُمير بن هانئ قال: كان أبو هريرة يقول: (تَشَبَّثوا بِصِدْغَيْ معاوية، اللهمَّ لا تدركني سنة ستين)[3].

---

(١) البخاري (٧٠٥٨).

(٢) فتح الباري: ١٣/ ١٠؛ وانظر: مسند أحمد (٨٣١٩).

(٣) تاريخ أبي زرعة الدمشقي، ص٢٣٠ ـ ٢٣١؛ ابن عساكر: ٦٧/ ٣٨٠، ورجاله ثقات.

●● وفي سنة وفاة أبي هريرة ثلاثة أقوال: سنة (٥٧هـ)، أو (٥٨هـ) أو (٥٩هـ)، وهذا أرجحها.

ـ روى سفيان بن عُيينة، عن هشام بن عروة قال: مات أبو هريرة وعائشة سنة سبع وخمسين.

وتابعه يحيى بن بُكير، وابن المَديني، وخليفة، والمدائني، وأبو حفص الفَلاَّس[1].

ورجحه الحافظ في «التهذيب»، وقال في «الإصابة»: هو المعتمد[2].

ـ وقال الحَسن بن واقع: حدثنا ضَمْرة بن ربيعة، قال: مات أبو هريرة سنة ثمان وخمسين.

وكذا قال أبو مَعْشر، وعبد الرحمن بن مَغْراء الدوسي، والهيثم ابن عدي، وغيرهم[3].

ـ وقال عمير بن هانئ، وهلال بن أبي هلال، والواقدي، وابن

---

(١) التاريخ الكبير: ٦/ ١٣٢؛ التاريخ الأوسط: ١/ ٢٠٣؛ المستدرك: ٣/ ٥٠٨؛ ابن عساكر: ٦٧/ ٣٨٧ ـ ٣٨٩؛ سير أعلام النبلاء: ٢/ ٦٢٦.

(٢) تهذيب التهذيب: ١٢/ ٢٩١؛ الإصابة: ٤/ ٢٠٨.

(٣) التاريخ الكبير: ٦/ ١٣٢؛ التاريخ الأوسط: ١/ ٢٠٣؛ المستدرك: ٣/ ٥٠٨؛ ابن عساكر: ٦٧/ ٣٨٩ ـ ٣٩٠؛ سير أعلام النبلاء: ٢/ ٦٢٧.

إسحاق، وأبو عمر الضرير، وأبو عبيد، وابن نمير: مات أبو هريرة سنة تسع وخمسين[1].

قال الواقِديُّ: (توفِّي سنةَ تسع وخمسين، في آخر خلافة معاوية ابن أبي سفيان، وكان له يوم توفِّي ثمانٌ وسبعون سنة)[2].

●● أقول: رجَّح الحافظ أن أبا هريرة توفي سنة سبع وخمسين، وقد كنتُ ترجمت لأبي هريرة في «أعلام الحفاظ والمحدثين»، وتابعتُ الحافظَ على ما رجَّحه في وفاة أبي هريرة، ثم تبين لي الآن خلافُه، وأن القولَ الأصحَّ في وفاته سنة تسع وخمسين؛ لأمرين:

الأول: ما رواه الوليد بن مسلم، عن ابن جابر، عن عُمير بن هانئ قال: (قال أبو هريرة: اللهم لا تدركني سنة ستين. قال: فتوفي أبو هريرة فيها، أو قبلها بسنة)[3].

وعُمير من تلاميذ أبي هريرة.

الثاني: ما رواه محمد بن هلال بن أبي هلال، عن أبيه قال: (مات أبو هريرة في ذي الحجة سنة تسع وخمسين، وهو يوم مات ابن ثمان

---

(١) ابن سعد: ٤/ ٣٤٠؛ تاريخ خليفة، ص٢٢٧؛ تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، ص٦٦؛ ابن عساكر: ٦٧/ ٣٨٦، ٣٩٠ـ٣٩١.

(٢) طبقات ابن سعد: ٤/ ٣٤٠.

(٣) تاريخ أبي زرعة الدمشقي، ص٢٣١، ٦٩١.

وسبعين سنة)[1].

وهلال من تلاميذ أبي هريرة أيضاً، وقد شَهِد جنازته ـ كما سيأتي ـ فهو أعلمُ من غيره، وقولُ مَن شهد مقدَّمٌ على قولِ من غاب، بل من لم يدرك وفاته أصلاً. والله أعلم.

عمره:

قال هلال بن أبي هلال والواقدي وابن زَبْر وغيرهم: مات أبو هريرة وهو ابن ثمان وسبعين سنة[2].

فعلى هذا يكون مولده سنة تسع عشرة قبل الهجرة، وعندما قدِم على النبي ﷺ سنة سبع يكون عمره ستاً وعشرين سنة.

ومنه يُعلم أن رواية الواقدي عن أبي هريرة: (قَدِمتُ ـ والله ـ ورسول الله ﷺ بخيبر سنة سبع، وأنا يومئذٍ قد زِدتُ على الثلاثين سنة سنوات)[3]؛ غلطٌ، لأنها تعني أنه في سنة (٧هـ) كان ابنَ ثلاث وثلاثين على أقل تقدير، فيكون مولده سنة (٢٦ق. هـ)، ومع قول الواقدي نفسه أنه توفي سنة (٥٩هـ)، يكون عمره يوم مات (٨٥ سنة)، فكيف يتفق مع قوله: (توفي وله ثمان وسبعون سنة)؟!.

---

(١) ابن عساكر: ٦٧/ ٣٩٠.

(٢) ابن سعد: ٤/ ٣٤٠؛ تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، ص٦٦؛ المستدرك: ٣/ ٥٠٨؛ ابن عساكر: ٦٧/ ٣٩٠.

(٣) ابن عساكر: ٦٧/ ٣٥٥.

الصلاة عليه ودفنه بالبقيع:

قال ابن سعد: أخبرنا محمد بن عُمر، قال: حدثنا يحيى بن عبد الله بن أبي فَرْوة، عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عَمْرو بن حزم قال: (صلَّى عليه الوليد بن عُتْبة وهو أميرُ المدينة، ومروانُ بن الحَكَم يوم شهد أبا هريرة معزولاً عن عمل المدينة).

وقال ثابت بن مِشْحَل: نزل الناس من العوالي لأبي هريرة، وكان الوليد بن عُتْبة أميرَ المدينة، فأرسل إليهم: لا تدفنوه حتى تُؤْذِنُوني، ونام بعد الظهر، فقال ابن عُمر وأبو سعيد الخُدْري ـ وقد حضرا ـ: اخرُجُوا به، فخرجوا به بعد الظهر، فانتهوا به إلى موضع الجنائز، وقد دنا أذان العصر، فقال القوم: صَلُّوا عليه، فقال رسول الوليد: لا يُصَلَّى عليه حتى يجيءَ الأمير، فخرج للعصر، فصلَّى بالناس، ثم صلى عليه، وفي الناس ابنُ عمر وأبو سعيد الخُدْري).

وعن هلال بن أبي هلال قال: (شَهِدتُ أبا هريرة يوم مات، وأبو سعيد الخُدري ومروان يمشيان أمام الجنازة).

وقال نافع مولى ابن عمر: (كنتُ مع ابن عمر في جنازة أبي هريرة، وهو يمشي أمامها، ويُكْثِر الترحُّمَ عليه، ويقول: كان ممَّن يحفظُ حديثَ رسول الله ﷺ على المسلمين).

وقال محمد بن عبد الله بن عَمْرو بن عثمان بن عفان: (لمَّا مات

أبو هريرة كان وَلدُ عثمان يحملون سريره حتى بَلَغوا البَقيع، حِفظاً بما كان من رأيه في عثمان).

وقال ثابت بن مِشْحَل: (كَتَب الوليد بن عتبة إلى معاوية يُخْبِره بموت أبي هريرة، فكتب إليه: انظُرْ من تَرَك، فادْفَعْ إلى وَرَثتِه عشرةَ آلافِ درهم، وأَحْسِنْ جوارَهم، وافعلْ إليهم معروفاً، فإنه كان ممن نَصَر عثمان وكان معه في الدار، فرحمه الله)[1].

وكانت وفاته في داره بالعَقِيق، فَحُمِل إلى المدينة فَصُلِّي عليه، ثم دُفن بالبَقيع، رضي الله عنه وأرضاه[2].

* * *

(١) أخرج هـذه الأخبار كلها ابـن سـعد عن شيخه الواقدي: ٤/ ٣٣٩ ـ ٣٤٠، وبعضها في تاريخ ابن عساكر: ٦٧/ ٣٨٦ ـ ٣٨٧.

(٢) البداية والنهاية: ٨/ ١١٤ ـ ١١٥.

الفصل السادس

في سِجِلِّ الخُلُود

رحل أبو هريرة رضي الله عنه من الدنيا إلى الآخرة، حيث يلقى الأحبة محمداً وصحبه.

رحل أبو هريرة عن الدنيا بعد أن أتعبها وأتعبته، وترك وراءه سيرة مليئة بالعبر والعظات، مزدانة بأكرم الخصال وجلائل الأعمال.

رحل أبو هريرة عن الدنيا بجسمه، لكنه بقي بهديه وعلمه في قلب الأمة وعقلها وفكرها ومنهجها وسبيلها.

رحل من بلاده في اليمن إلى موئل الإيمان ومهبط الوحي، فلازَمَ النبيَّ ﷺ فحمل نفسه على اقتفاء أثَره والاهتداء بهَدْيه، فعاش حياة الكفاف، وصَبَر نفسه معه، وأدامَ مجالسته، وحفظ حديثه، وجاهد وغزا معه، ثم تولى الإمارة، وأَمَّ الناس في الصلاة، وتصدَّر المجالس، وعلَّم الناس وفقَّههم، نحوَ نصف قرن.

عاش عمراً مباركاً أكرمه الله فيه بمكرمات، وكَمَّل هو ذلك بأعمال خالدات، صنَعتْ منه ظاهرة فريدة أصبحت على كل لسان.

نال شرف الهجرة إلى الله ورسوله، ونَعِم بالصحبة وهي المنزلة التي لا تُسامى، وغَبَّر قدميه في الجهاد مع النبي ﷺ، وكان عريفَ أهل الصفة، وخادمَ النبي، وتلميذه النجيب، ونَقَل عنه الكثير الطيبَ من حديثه الشريف، وتداوَلَه عنه المسلمون جيلاً بعد جيل، وانتفع به المؤمنون في مختلف جوانب حياتهم في العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق والآداب وغيرها، وكلُّ مسلم ينتفع بحديثه، من عصر الصحابة إلى ما شاء الله، فلأبي هريرة من الأجر مثل أجره، وهذا لا يُحيط به حساب، ولا تُحصيه ملائكةُ الرحمة، ولا يعلم مقداره إلا الله عزَّ وجلّ.

رحل أبو هريرة حافظُ القرآن الكريم، وعنه أخذ القراءة بعض القراء، وإليه تنتهي قراءة اثنين من القراء العشرة، فكم له من أجر المؤمنين الذين يتعبدون الله بتلاوة كتابه آناء الليل وأطراف النهار!.

رحل أبو هريرة بجسمه، وبقي بعلمه نجماً ساطعاً وسِراجاً متوقداً، تُنير أحاديثُه الدربَ للسالكين، وتدلُّ الناسَ على منهاج الصالحين.

رحل أبو هريرة وله في قلوب المؤمنين كل تلك الأعمال والمآثر والمناقب، وباءت بالفَشَل كلُّ السِّهام التي وُجِّهت إلى سيرته، وانحسرت كل الأمواج التي حاولت أن تعكر صفاء إخلاصه، وتحطَّمت كل الأراجيف الزاحفة على سفوح قلعته الحصينة وبنيانه الشامخ، وارتدت الهجمات الضالَّة خائبةً حسيرة تجرُّ أذيال الهزيمة والعار والخِزي

والخَسَار، وخابَتْ كل المؤامرات التي حِيكت في الظلام لتشويه سيرته والطعن في أحاديثه، وباءت كل تلك المحاولات بغضب الله ورسوله والمؤمنين، وبقيت تجترُّ مرارة الذِّكْر السيِّئ على لسان التاريخ، مع ما ينتظرها من سوء العاقبة يوم أن تلقى الله فيحاسبَها على شرِّ أعمالها وسوء مقاصدها! ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

أما أبو هريرة فبقي كالطَّود الأشم الذي لا تهزُّه الأعاصير، ولا تُزَحْزِحه الأراجيف، شامخاً بدينه، شامخاً بعلمه، شامخاً بأعماله، شامخاً بسيرته، شامخاً بأتباعه وحوارييه وأنصاره ومحبيه، هذا مع ما ينتظره من الثواب العظيم، والأجر الجزيل، والإكرام العريض، ورضوان الله تعالى وذلك هو الفوز الكبير.

رحل أبو هريرة وقد عاش بالإسلام وللإسلام، وتقلَّب بين شَظَف الحياة ونُعومتها، وشدَّة العيش وليونته، ما تغيَّر فيهما حالُه، ولا تبدَّلَتْ أخلاقُه، بل بقي وفيّاً للمنهج الذي تربى عليه.

عاش حياته حريصاً على سُنَّة المصطفى ﷺ، محبّاً لها، راوياً وحافظاً وداعياً وناشراً لها، عاملاً بها ومُنافحاً عنها، وذَهَب إلى ربه راضياً سعيداً، بعد أن أدى الأمانة على وجهها، فأكرمه الله تعالى فأَعْلَى قَدْرَه، ورَفَع بين الناس ذِكْره، ونَشَر على العالمين اسمَه، فذِكْرُه في كل يوم على المنابر، وفي المشاهد، وعلى كل لسان، وتلك هي الحياة

برفعتها وديمومتها وطهارتها.

تلك هي منزلة سيدنا الجليل وصاحب نبينا الكريم أبي هريرة، وهذه هي حياته ومناقبه ومآثره، وذلكم هو سجله في الخالدين.

فيا أيها الصحابي الجليل، يا فارسَ السنَّة الطاهرة، ويا أستاذَ أساتذة المحدثين:

هنيئاً لك الهجرة، وهنيئاً لك الصحبة، وهنيئاً لك الجهاد مع النبي ﷺ، وهنيئاً لك دعوته لك ولأمِّك، وهنيئاً لك حفظك للسُّنَن الشريفة، وهنيئاً لك نشرها وتعليمها للناس، وهنيئاً لك ذِكْرك الجميل على لسان المؤمنين، وهنيئاً لك حبهم إلى يوم الدين، وسلام على روحك الطاهرة في الخالدين.

والحمد لله رب العالمين.

دبي - يوم الأربعاء: ٢٩ رمضان - ليلة عيد الفطر - ١٤٢٣هـ
الموافق ٤ كانون أول ٢٠٠٢م

عبد الستار الشيخ

* * *

المراجع

١ ـ **أبو هريرة**، لعبد الحسين شرف الدين، من «الإنترنت».

٢ ـ **أبو هريرة راوية الإسلام**، للدكتور محمد عجاج الخطيب، سلسلة أعلام العرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٣ ـ **أبو هريرة في الميزان**، لمحمد محمد السماحي، مطبعة الأزهر ١٩٥٨م.

٤ ـ **الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة**، لبدر الدين الزركشي، تحقيق سعيد الأفغاني، المكتب الإسلامي ـ دمشق، بيروت.

٥ ـ **الأحاديث الصحيحة**، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف ـ الرياض.

٦ ـ **الأحاديث الضعيفة والموضوعة**، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف ـ الرياض.

٧ ـ **أخبار القضاة**، لمحمد بن خلف المعروف بوكيع، عالم الكتب ـ بيروت.

٨ ـ **الأدب المفرد**، للبخاري، اعتنى به محمد هشام البرهاني، الإمارات العربية المتحدة.